خفافيش ا دينة

{ قصص قصيرة}

رائد قاسم

٢٠١١م



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م





إهداء

إلى كل من يحاول الوصول للنجمة البعيدة في السماء مهما كان يائسا ومهما كانت بعيدة ..

رائد

مقدمة

إن هذا الوجود ليس سوى قصة، كل شي في حياتنا وما حولنا عبارة عن قصة قد تكون قصيرة أو طويلة، عندما خلقت الشمس كان في خلقها قصة ، وقصتها مستمرة وسيأتي يوما تنتهي كما انتهت قصة آلاف النجوم من قبلها، التلفون كانت له قصة، الكهرباء لها قصة أيضا، السفر إلى القمر كانت له قصة ستظل مضرب المثل على مر الأزمان في التحدي والإصرار والعزيمة.

والقصة إذا ما كان لها بداية ونهاية وأحداث فيما بينهما، فان كل كائن في هذا الوجود يمر بهذه المراحل المتتالية، لأن حياته مجرد قصة، وكل حياة لا بد أن تكون قصة ما ، لان القصة حياة والحياة قصة! إلا إن الإنسان وحده فقط هو من يستطيع تغيير أحداث قصته ، هو وحده من يمتلك القدرة على تغيير مساراتها، وهو وحده من يمتلك زمامها، لأنه يمتلك العقل والإرادة ، بينما المخلوقات الأخرى تبتدئ قصتها وتدور أحداثها وتنتهي من دون إدراك منها ومن دون اختيار، لذلك تتشابه قصص الحيوانات والطيور ، وقصة الموجودات والنجوم والكواكب واحدة لا تتغير أبدا، لأنها تتحرك بالتسيير والسيطرة من القوة المطلقة، أما الإنسان فان قصصه لا حد

لعددها وستستمر في التجدد والتألق ما دام حيا، وهذه هي قيمة الإنسان الحقيقة وسر خلوده وبقاءه، فالإنسان الحقيقي هو الذي يسعى إلى التجديد واكتشاف المجهول والمضي نحو الخلاص والحرية والبحث عن الأمل والمجد والسعادة ، ولعل هذا احد أسباب تعلق الطبع الإنساني بالقصة بمختلف ضروبها، فالإنسان يميل إلى قراءة واستماع القصص والروايات والحكايات لأنها بكل بساطة تقدم له العلم والمعرفة والحكمة، من خلال حركة الحياة الإنسانية المتجسدة في شخصيات القصص وأحداثها، سواء كانت حقيقية أو خيالية، ما يمنحه بعدا يلامس ذاته البشرية ويداعب عقله الإنساني الساعي بفطرته نحو التألق والكمال

هذه القصص القصيرة مما كتبته في عام ٢٠١٠م ورمت جمعه في هذه الصفحات، وكلي أمل في أن تنال إعجاب القارئ ، وتساهم في إثراء حسه الإنساني وذوقه الأدبي وتنمي إحساسه بالجمال والإبداع ، فالحياة ليست سوى مجموعة قصصية لا تنتهي ما دامت حياة الإنسان سائرة في طريق النور والحرية.

رائد قاسم
٢٠١١/٦/١٠ م



صالون الذكريات

صالون الذكريات

اليوم هو الثلاثاء، موعد حضور العم محمود لصالون الحلاقة الذي مضى على افتتاحه أكثر من ١٠ سنوات، وتعاقب عليه أكثر من خمسة عمال... يأتي العم محمود في موعده في الساعة الرابعة مساء.. ينتظر دوره ببرود تام ، ثم يصعد الكرسي ويسلم وجهه للعامل رقم خمسة ... يبدأ العم محمود بالتحدث إليه على جري عادته...

العم محمود- اليوم ذهبت للسوق فوجدت أسعار الطماطم وبقية الخضار والفاكهة مرتفعة، اللعنة على هؤلاء التجار ، يرفعون الأسعار ليكسبوا من جيوب الفقراء أمثالنا ، ولكن حيلهم هذه لن تنطلي علي ، لقد اشتريت من البقال علب طماطم معلبة ، تغنيني عن شراء صندوق الطماطم الذي يضحكون علينا به.

... الحلاق يبقى صامتا فهو غريب عن هذه الديار ويخشى أن يتحدث في شئون تجلب له المتاعب...

العم محمود- الشارع الرئيسي في المدينة مغلق منذ أكثر من ٥ شهور ! تصور ، حتى الان لم ينتهوا منه، ! يا للفوضى ! يا لهؤلاء المقاولين الفاشلين، إن هذا الشارع

هو أهم شوارع المدينة، لذلك تعاقبت عليه شركات الكهرباء والهاتف والمياه والصرف الصحي، وكل منها أحدثت فيه آثار لا تمحى بسهولة، فتحول إلى شارع مشوه رغم إنفاق البلدية الكثير لتجميله وتحسينه.

... ينتهي العامل من حلاقة ذقن العم محمود الذي يسارع في إعطاءه المبلغ المعهود، إلا انه يستلقي مجددا بين الزبائن ويكمل حديثه معهم منتقدا ومحللا...

.. يمر الأسبوع بسرعة، أصبح الحلاق ينتظر العم محمود بفارغ الصبر ليعرف منه أخبار البلاد، فهو لا يمتلك الوقت الكافي للخروج من المحل وليس عنده إجازة ولو ليوم واحد....هذا الأسبوع قليل الزبائن، ربما لأنه أسبوع وسط الشهر ! هكذا يتساءل عامل الحلاقة بينه وبين نفسه، يأتي العم محمود على جري عادته، ويستلقي على كرسي الحلاقة، الذي لم يتغير منذ خمس سنوات..

العم محمود- احلقني جيدا لأني أريد الذهاب لحضور مأتم جارنا الحاج عباس.

عامل الحلاقة- (بتعجب واستغراب) هل مات الحاج عباس؟

العم محمود- نعم ، توفي بالأمس .
عامل الحلاقة- يا الهي! لقد كان هنا في الأسبوع الماضي .
العم محمود- (ببرود) هذا هو حال الدنيا كلنا راحلين ، يا ليت ملائكة الموت تنال من هؤلاء الذين يعيثون فسادا بدلا من هؤلاء الناس البسطاء!.
يعود الحلاق إلى سكوته مرة أخرى ....
... ثم يأتي يوم ثلاثاء الأسبوع الثالث بسرعة البرق، وقد دبت الحياة في أرجاء السوق وانتعشت محلات الحلاقة، يأتي العم محمود ليرى الصالون ممتلئا... يجلس بتذمر ...
العم محمود- جميعكم تريدون أن تحلقوا شعوركم الزائدة ؟ يا ليت الإنسان منا يحلق كذلك
عيوبه ومساوئه !
.. لا احد يرد عليه فهو رجل عجوز ولا بد من احترامه..
يتطلع إلى المجلات التي يقرا فيها بعض الزبائن...
العم محمود- هذه المجلات لم تتغير منذ سنوات طويلة، ورغم ذلك لا أظن أن احد من الزبائن طالب بتجديدها، هكذا انتم لا

تعترضون على شي حتى لو كنتم تستطيعون تغييره بسهولة!
يواصل انتقاداته وتزداد نبرات صوته قوة لتحدث ضجيجا عاليا... يلتفت إليه احد الزبائن..
الزبون- تفضل يا عم إن من الواجب أن نقدمك علينا .
.. تنفرج أسارير العم محمود ويأمر الحلاق بان يزيد من اهتمامه بحلاقة ذقنه.
العم محمود- اليوم سأذهب إلى زيارة احد أحفادي في المستشفى.
عامل الحلاقة- خير يا عم، ما به؟
العم محمود- لقد صدمته سيارة مسرعة.
عامل الحلاقة- أمر مؤسف، أتمنى له الشفاء السريع.
العم محمود- يا لقوانين هذه البلاد التعيسة! فوضى مرورية خانقة، لا وسائل مواصلات غير السيارة الخاصة! رجال المرور أصبحوا بعدد أصابع اليد! وكل هم إدارة المرور هو رصد المخالفات.
يسكت الحلاق طلبا للسلامة فقد أمرته أمه منذ صغره بعدم التحدث فيما لا يعنيه.. يخرج العم محمود من المحل وقد انتقد كل

شـي حولـه.. يلتفت إلـى الـشاب الـذي قدمـه على دوره ..

العم محمود- اعرف لم جعلتنـي آخذ دورك، لأنــك لــم تتحمــل كلامــي، الحقيقيــة يــصعب تحملها حتى على شاب مثلك، عش في الوهم الذي يصوره لك شبابك الأخاذ ودع مواجهة الحقيقة لنا نحن المسنين !

... الأسـبوع الرابـع آخـر أسـابيع الـشهر، وفــي نهايتــه يــستلم الموظفــون رواتــبهم الــشهرية، لا يتــأخر العــم محمــود عــن الحضور، يجلس منتظرا كعادتـه، يـدخل عليه مجموعة من أقربائه....

- عظم الله أجرك يا عم، لقد توفي حفيدك قبل قليل بالمستشفى.

ينزل رأسه إلى الأرض والصمت قد عم أرجاء الصالون..

.. يعيـد النظـر إلــى الزبــائن ويحـدق فــي أرجاء المكان ...

العـم محمـود- لقـد تـوفي حفيـدي ولكـن انظروا للحياة من حولنا، ما زالت كما هي ولم يتغير شي، فلماذا نتعب أنفسنا بالحزن ؟

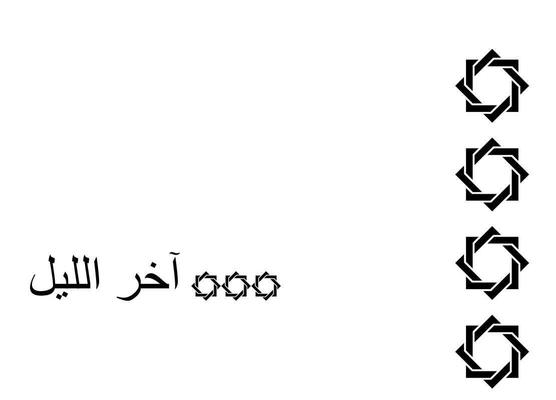
احـد الأقربــاء- ألـن تـأتي معنــا لتجهيـزه ودفنه؟

العم محمود- سأذهب ولكن دعوني احلق شعري وذقني أولا!!
ينتاب الجميع الذهول ولكنهم ظلوا صامتين احترام لكبر سنه..
.. يقدمه احد الزبائن فيقبل تعاطفه مبتسما.. يستلقي على كرسي الحلاقة ساكتا ولكنه لا يستمر في سكوته كثيرا..
العم محمود- لو كان الذي مات في هذا الحادث احد أبناء المسئولين الكبار لقامت الدنيا وما قعدت! ولسن قانون جديد للمرور ، ولعقدت المؤتمرات والندوات التي تطرح حلول للحد من هذه الحوادث التي قضت على آلاف الأبرياء ، أليس كذلك؟
... الحلاق لا يرى بدا من الكلام هذه المرة..
عامل الحلاقة- فعلا بلادكم سيئة التنظيم، ولو كنت امتلك المال الكافي لما بقيت لحظة واحدة فيها! تصور جاءني موظف البلدية وأراد أن يسجل علي غرامة مالية، ولكن أنقذني منها احد الزبائن الذي كان يتمتع بعلاقة طيبة معه! إذا كانت بلادكم بهذه الصورة فلن تفلح أبدا!! إن القانون

يجب أن يطبق على الجميع من دون استثناء، أليس كذلك؟
... الجميع في صمت ما عدا العم محمود !
العم محمود- بالطبع كلامك صحيح، تصور كل يوم يصدرون قوانين جديدة ولكنها لا تطبق إلا على الضعفاء فقط.
عامل الحلاقة- إن شاء الله أعود إلى وطني ولا احتاج للعمل في بلاد مثل بلادكم !
... يخرج العم محمود متأنقا لجنازة حفيده، يستقبل المعزين بوجه مشرق، به ملامح حزن مركب، تنقضي أيام العزاء سريعا وتبدأ أيام شهر جديد... في يوم الثلاثاء كان يقف بالقرب من صالون الحلاقة المغلق ...!!
.. ينتظر طويلا بدون فائدة، يقترب منه احد الأشخاص...
- عبثا تنتظر يا عم، لقد أغلق هذا المحل واحتجز عامله !
العم محمود- لماذا؟ كيف حدث هذا ؟
- لقد جاءت البلدية وأغلقت المحل واحتجزت العامل لحين وصول رجال الشرطة، الذين سارعوا بالإمساك به...
- لماذا؟

ـ كلـه بـسبب صـيت لـسان هـذا العامـل التعيس، لقد تحدث فيما لا يعنيه مع رجل عجوز كان يحلق عنده ، والظاهر أن احد الزبـائن ابلـغ عنـه ، واعتقـد بأنـه سـوف يرحـل إلـى بلـده عمـا قريـب بعـد أن يـدفع غرامة كبيرة ولـن يـسمح لـه بدخول البلاد مرة أخرى .

يـضحك العـم محمـود وتنفـتح أسـاريره ببـرود شـديد... يمـشي قلـيلا فـي أرجـاء السوق ويختار محل حلاقة آخر ليحلق فيه ذقنـه، وذلـك بعـد أن شـرح بإسـهاب كيفيـة حلاقتهـا للعامـل الـذي بـدا مـن التـذمر... يحلـق ذقنـه ويـدفع المبلـغ المعهـود ويغـادر بعـد أن اشـبع العامـل والزبـائن بثرثرتـه المعهـودة وانتقاداتـه التـي لا تنتهـي ، بينمـا عامـل الحلاقـة والزبـائن ظلـوا صـامتين علـى جـري عـادتهم .. يغـادر العم محمود وهو متأكد بأنه في الأسابيع القادمة سيعتاد عليـه العامـل وسيشاركه همومـه وسيقدمه الزبـائن علـى أنفـسهم كمـا كـان مـن أمـر صالون الحلاقة السابق الذي أغلق بعد عقد مـن الزمـان بـسبب كلمـات خرجـت مـن فـم عامله في لحظات شجاعة زائفة.



آخر الليل



آخر الليل

هو- الو، من المتصل في آخر هذا الليل الحالك ؟
هي- الم تعرفني ؟ هذا أنا حبيبتك.
هو- لم أعرفكِ وليس لي حبيبة .
هو- أنا حبيبتك التي عدت إليك من ماضيك المؤلم، لأعوضك إياه بمستقبل مشرق بديع.
هو- في الماضي كان لي حبيبة، والماضي لم يعود ولن يعود.
هي- ولكني عدت.
هو- كلا لم تعودي .
هي- كيف وأنا الان أكلمك وأتحدث إليك؟
هو- لأنك لم تتغيري، ومن لم يتغير ما يزال في الماضي، والذي ما يزال في الماضي لم يعد بعد.
هي- صدقني لقد تحررت من الماضي.
هو- كلا، ما تزالين فيه، انه كل حياتك ، ليس الماضي أو الحاضر أو المستقبل إلا مسميات وضعناها لمواكبة حركة الأرض والشمس، أما وجودها في حياتنا فأمر آخر مرتبط بحركتنا نحن ، فان لم

نتغير للأفضل فهذا يعني إننا ما نزال نعيش في الماضي.

هي- أنت كما أنت تريدني امرأة ضعيفة ؟

هو- وهل القوة في تحطيم الأشياء من حولي ؟ أن أكون منبوذا من قبل الآخرين، أن أعيش وحيدا بين بني البشر؟ إن القوة ليست سوى وسيلة لا غاية، مجرد أداة يستخدمها المرء لمواجهة مصاعب الحياة.

هي- أنت وغيرك تريد مني أن لا استثمر قوتي لتحيق ذاتي واثبات وجودي، تريدونها لتسخيرها لمأربكم الرخيصة وشهواتك الأنانية وأهوائك المريضة.

هو- يا سيدتي القوة ردع وليست هجوم، بناء وليست تدمير.

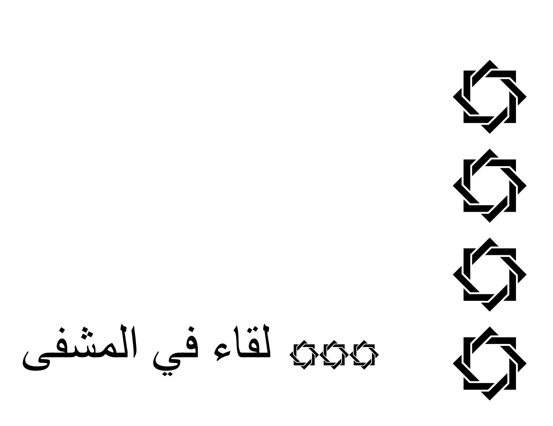
هي- كلام فارغ ليس له صدى، سيسبح في الفضاء ولن يستقر في قلب احد أو لب احد.

هو- إن القوة التي تدمر صاحبها وكل من حولها، أو القوة التي لا يستفيد منها احد، ليست إلا كشمس عقيمة تسبح في فضاء الكون من دون تصنع الحياة وتبث عبرها النور والضياء.

هي- أنت كما أنت تريدني مجرد أنثى.

هو- كلا أريدك إنسانة وأنثى ... زوجة وحبيبة وصديقة.
هي- بل غرست في أعماقك انك الذكر والرجل وتحمد السماء دائما على انك لم تخلق امرأة.
هو- أنت كما أنت لم تتغيري، ما زلت تخلطين المفاهيم وتضيعين بين الأفكار، إن الذكورة شي والرجولة شي آخر، إنني احمد الله لأنه خلقني رجل وخلق لي امرأة.
هي- نعم امرأة ضعيفة .
هو- بل امرأة إنسانة مع الآخرين وأنثى معي، تستخدم قوتها في سبيل سعادة ذاتها وكل من حولها .
هي- أرجوك امنحني فرصة أخرى لقد تغيرت.. صدقني .
هو- أنت النار وأنا الماء، والنار والماء عدوان لدودان منذ الأزل ومتناقضان ابد الدهر،
إن الماء والنار لا يلتقيان أبدا.
هي- أرجوك.
هو- أرجوك أنت عودي من حيث اتيتٍ ، ارجعي حيث كنت ، لا مكان لك في قلبي وعقلي وحياتي ووجودي.

هي - أنا احبك.
هو- حبك أنانية وليس حب.
هـي- لقـد عـدت مـن أجلـك وسـأحارب المستحيل لأفوز بحبك.. أرجوك..
هـو- أرجوك انتٍ ، لـست سوى شيطان فـي صـورة امـرأة ، عـادت مـن الجحـيم لتمارس شرها
المستطير على شكل وردة أنثوية فيحاء.
هي- أنا.......
ينقطـع الخـط إلــى الأبـد ... ينقـضي الليل وينبلج الفجر ثم تشرق الـشمس، إلا إن صدى حديثها مـا يـزال يتمـوج فـي داخلـه، وظـل يتـساءل: مـن أي مجهـول جـاءت هـذه المـرأة والـى أي مجهول سترحل؟.



لقاء في المشفى



لقاء في المشفى

حياتـه كموظـف اسـتقبال فـي المسـتـشفى الحكومي الوحيد في هذه المدينـة جعل حياتـه مملـة، سـابقا كـان يعتقد انـه سـيعوض عزلتـه الاجتماعيـة وضـعف خبرتـه بأصـناف الغابـة البـشرية التـي ينتمـي إليهـا مـن خـلال لقـاءه بعـشرات الأشـخاص مـن مختلـف طبقـات المجتمع أثناء دوامه اليومي، الذي يستهلك من أسبوعه ٦ أيام مقابل يوم راحـة وحيد ، إلا إن ظنـه قد خـاب تمامـا ، فالنـاس فـي هذه المدينـة متـشابهون ، فتعـابير وجـوههم واحـدة ، قلمـا ترتسم البسمة المشرقة على شفاههم، متحفظين لحـد الهـوس، لا يرفعـون أصـواتهم ، خاصـة النـساء مـنهم ، خـشية أن تنتقـل معلومـاتهم الشخصية لصاحب نيـة سيئة أو قاصد سوء، مطـالبهم واحـدة ، آمـالهم واحـدة، أحلامهـم واحـدة، يـأكلون نفـس الأكـل ويتمنـون ذات الأمينات ، طموحاتهم متشابهة ، يحملون نفس الآمـال ويـردون نفس الكلام ، كـأنهم شـخص واحد بأطيـاف متعددة ووجـه يرتـدي فـي كـل مرة قناعا جديدا! ...

... قسم الإسعاف هو الدهليز الأول من دهـاليز الموت أو إعادة إصلاح جسد الإنسان وتأهيلـه

للعودة للحياة مرة أخرى، من كثرة ما يراه من الناس الخارجين منه سواء لبيوتهم أو لمنازلهم الترابية الجديدة أصبح يشبه المشفى بورشة الإصلاح السيارات والمركبات، فبدن الإنسان ليس سوى آلة والمستشفى مركزا لإصلاحها ... يجلس قليلا بعد أن تضائل مرتادي الإسعاف ، يرتشف كوبا دافئا من القهوة ، يتأمل بقية الناس من حوله، بعضهم يشاهد التلفاز والبعض الآخر يقرا صحيفة مهملة والبقية يتحدثون مع بعضهم بشتى الأحاديث ، وحده فقط من يمسك بكتاب اشتراه مؤخرا من إحدى المكتبات القليلة في هذه المدينة ، يقطع خلوته رجلا يضرب بيده على مكتبه بقسوة ..

الرجل- دع عنك هذا الأوراق وسجل اسم زوجتي بسرعة فهي على وشك الولادة.

.. يحتفظ بهدوئه ، يكتب اسمها ببرود ويوجهه لقسم النساء والولادة...

- ماذا ستنجب هذه المرأة ؟ ولد ! بنت! في كل الأحوال سيكون أو تكون نسخة كربونية تقليدية من والده أو والدتها..

... يسمع صراخ الطفل القادم للتو للدنيا...

- أيها الطفل لا داعي للبكاء ، كل شي لك مرسوم من لحظة ميلادك وحتى وفاتك، لا يمكنك الاختيار أو التغيير ،

كل ما عليك هو أن تسير وفقا للخط المرسوم لك ، وإياك من مخالفتها ، فان فعلت فستكون قد جنيت على نفسك وأصبحت عضو غير مرغوب به .

... يسترخي قليلا، تنتابه لحظات غفوة عقب حلول هدوء شامل....

- أوراقي وأقلامي هما أهم من أدويتي واثبات شخصيتي ، اجلبوها لي حالا.

... يفتح عينيه على صوت رجل في الستينات من عمره، ادخل على عجل لقسم باطنية الرجال... .. يتوجه إليه شاب ارستقراطي ، ويسجل اسمه بكبرياء ..

- اسم هذا الرجل يبدو انه مألوفا بالنسبة لي.

يأتيه شاب آخر ...

الشاب- هل تسمح لي بوضع هذه الدفاتر والأوراق والأقلام عندك.

- بالطبع تفضل.

... ينتابه الفضول والرغبة الشديدة لمعرفة شخصية هذا الرجل الذي أيقظه من لحيظات

غفوته وجاء المشفى وهو مهتما أكثر من أي شي آخر بأوراقه ودفاتره وأقلامه ....ساعات قلائل ويأمر الطبيب المناوب

بتنويمه نظرا لسوء حالته، تذهب به الممرضات لقسم التنويم في محاولة لإصلاح جسده العليل... يضطر لأخذ دفاتره وأورقه وأقلامه معه خوفا عليها من الضياع، يضعها على مكتبه ، ولكن فضوله بمعرفة ما تحتويه يزداد ضراوة ، يمسك بأكبر الدفاتر حجما ، يقراه قليلا ليكتشف بأنه بحثا وجودي ، يعالج أزمة الإنسان العربي المعاصر ، التائه ما بين ماضيه السحيق وحاضره الذي لم يشارك في صنعه ، يتأمل في اسم المؤلف مليا ، يبحث عنه في الانترنت فيكتشف انه احد كتاب المغمورين في مدينة مغمورة ...

- انه حقا الكاتب الكبير .... يا للأسى كيف لم اعرفه منذ اللحظة الأولى؟ ولماذا لا يحظى بالاهتمام المطلوب ؟

يضع دفاتره وأراقه وأقلامه في سلة ورقية ملونة ويذهب لزيارته... كان يتوقع أن يكون محاطا بالعديد من زملائه الكتاب أو مريديه من القراء ولكنه كان وحيدا....

الكاتب- من أنت ؟

- أنا موظف الاستقبال وجئت للاطمئنان عليك .

الكاتب- شكرا لك، منذ مجيئي إلى هنا لم يأتي لزيارتي سوى أبنائي وبعض أقاربي.
يسلمه حاجياته ..
- تفضل هذه أغراضك .
يحتضنها بلهفة، ثم تدمع عيناه .الكاتب- إنهانها أهم شي بالنسبة لي أيها الشاب اللطيف.
- لقد قرأت لك العديد من المقالات، وقرأت قائمة بالكتب التي الفتها وأتمنى أن اقتنيها يا سيدي.
يلتفت إليه بحزم ...
الكاتب- تعال يا فتى ، اقترب مني.
.. يقترب منه بشغف..
الكاتب- غدا سأجلب لك بعضا منها.
- سيكون الغد يوما مختلفا بالنسبة لي يا سيدي .
.. يأتي الغد بسرعة ، في الموعد المحدد يقبل عليه ، يراه منشغلا بالكتابة...
الكاتب- أهلا بك أيا الشاب، تفضل هذه بعض كتبي ومؤلفاتي.
يتصفحها فيجد أن كل منها يزيد عن أل ٥٥٠ صفحة..
- إنها مؤلفات غزيرة بالفكر والتحليل والنقد يا سيدي، كيف لم أجدها في

المكتبات قبل الان؟ ولماذا لا أرى اسمك إلى جانب كبار الكتاب والمؤلفين ؟

يبتسم من سؤاله، يتوقف عن الكتابة ويخلع نظارته..

الكاتب- عندما لا يكون الكاتب مرتبطا بقوة ما ، وعندما يخالف ما هو سائد ، وعندما يكون حرا ، فانه سيكون مهمشا.

- وما مصير كتبك حين ئدن ؟

الكاتب- كتبي جزء مني ومصيرها مصيري! فمؤلفاتي هذه لن تجدها في المكتبات لأنها محظورة من التداول ، لأني اطرح فيها كل ما هو مغاير لما يعتبرونه هنا حقيقة لا بد أن يؤمن بها كل إنسان ، إن ذلك جزء من أزمة الإنسان العربي يا بني.

- هل تسمح لي بزيارتك كل يوم .

الكاتب- وجودك يؤنسني ، أنا بانتظارك في المستشفى، وعندما اخرج منها ستسعدني زيارتك في بيتي .

... يقبل على قراءة مؤلفاته بنهم شديد، إنها حالة خاصة دون شك، فهو يقرا كتاب صاحبه معه، هنا يكون الكتاب أكثر من صديق، انه روح للروح التي تبحث عن

المجهول واختراق الحجب لتصل إلى ما وراء آفاق الآفاق... عندما يكون الكتاب وكاتبه أمام القراء فان يتمتع دون شك بميزة فريدة ونادرة..

بدا يقرا بتركيز في كتابه الأول، وأصبح كل يوم ملازما له يناقشه فيه ويستمتع بالحوار معه..

- تقول إن الحياة جزء من الوجود، ما الفرق بينهما؟

الكاتب- سؤال جميل ، ولكني لن أجيب عليه حتى تتحفني بسؤال آخر .

- أسالك أيضا : ما نظرتك للجسد والروح والنفس والذات في كيان الإنسان؟

الكاتب- حقا سؤال رائع أيضا، غدا أجيبك عن كليهما.

- وأنا متلهف بشدة لمعرفة الإجابة

الكاتب- نعم ولكن على شرط أن تجيب عنها أنت أيضا حتى نقارن بين الإجابتين.

- ولكن...

الكاتب- فكر وابحث عن إجابتين لسؤاليك الذكيين، الم نتفق على أن لا حقيقة مطلقة في هذه الحياة.

يغـادر المستـشفى وهـو حـائرا فـي كيفيـة الإجابة على سؤالين هو من أطلقها وكان يأمل في تلقفي إجابة معلبة كعادته.......

.. فـي مـساء اليـوم التـالي كـان قـد جهـز إجاباتـه الشخصية، وكـان متحمسا لإلقائها عليـه، دخـل غرفتـه وتجـاوز الحـاجز الـذي يفـصل مـا بـين المرضـى فوجـده خاليـا... تعتريـه انقباضـه صـدر مدويـة يـسرع إلـى استعلامات القسم...

الممـرض- أنـت موظـف اسـتقبال قـسم الإسعاف، أليس كذلك؟

- نعـم أنـا، أيـن الكاتـب المعـروف الأستاذ.....

الممرض- لقد توفي هذا الصباح.

صـدمة تفقـده توازنـه ، يـستلقي قلـيلا فـي صالة الانتظار .... يستدعيه احد الأطباء

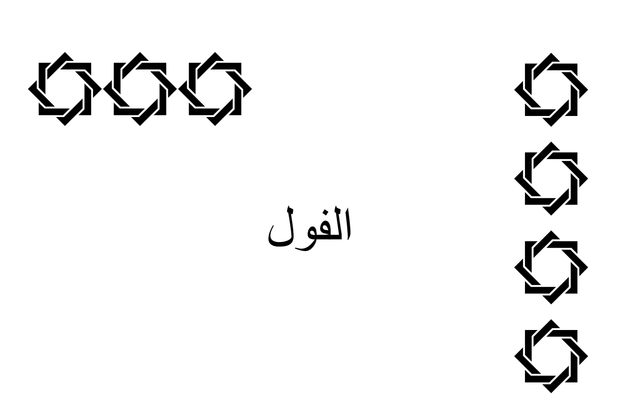
الطبيب- أنت من كنت معه بالأمس ؟

- نعم يا دكتور .

الطبيب- عنـدما إصـابته اليـوم أزمـة حـادة، طلب منا أن نحظر له أوراق، وكتب عليها مقـالا قـصيرا رغـم تـردي حالتـه الـصحية، وطلب منا أن نسلمها لك، كما طلب منـا أن نعطيك كل ما كتبه أثناء إقامته بالمستشفى.

.. قبضها بيد مرتجفة، وعينين تصبان الدموع بغزارة..
الكاتب- عزيزي لم اشىء الرحيل عن الدنيا حتى أجيبك على سؤاليك الرائعين بما اعرف، إن الحياة جزء من الوجود ، فالوجود ليس سوى هذه العوالم التي لا نهاية لها ، وحياتنا جزء منها ، وعندما يموت الإنسان فانه يكون قد انتهى من الحياة ولكنه ما يزال موجودا ، ولكن في أفق أخرى وحياة جديدة ، أما سؤالك الثاني فاني اعتقد بان الجسد رداء للروح ، والروح رداء للنفس ، والنفس رداء للذات، والذات هي الأنا ، والانا هي الإنسان بكيانه وشخصيته وتقبل تحياتي ..
يطوي الورقة في جيبه ويمسح دموعه، ويحتضن أوراق كتابه الأخير المبعثرة بألم وحرقة...
- أينما كنت في أي من هذه العوالم المترامية ، ومهما كنت بعيدا عني ، أعاهدك على أن احفظ آخر ما كتبت لكي لا يضيع جهدك في مقبرة هذا الوجود اللامتناهي .





الفول



الفول

يسقط شبه مغمى عليه، ينقل فورا إلى المستشفى...يغمز بسائل الجلوكوز ويحقن بإبرة فولتارين .. يسترخي قليلا بعد سحب عينة من دمه لتحليلها....

الطبيب- إن هيموجلوبينك ناقص بدرجتين وخلايا دمك الحمراء أصبحت كالمنجل !

- اعرف أن هذا سيحدث ولكن طعمه لذيذ لا يقاوم.

الطبيب- إذن فعلتها مرة أخرى ! تناولت فطيرة فلافل ! أليس كذلك؟

- بل فطيرتين يا دكتور ، وكانتا بالخبز المصري اللذيذ مع السلطات .

الطبيب- لولا إن القانون يمنع إيقاف العلاج عنك لطردتك على الفور.

.. يتغلغل سائل الجلوكوز في أنحاء جسمه.يشعر بالراحة ويخرج من المستشفى ليذهب لمنزله ويستلقي على فراشه وينام .....

... بعد عدة أيام تعود إليه صحته ، يتفق مع احد أصدقائه للخروج في نزهة، يتوجهان إلى إحدى البلدات الشعبية ..

الصديق- هل تعلم إن هذه البلدة مشهورة بتقديم وجبات الطعمية والفول ، وان شهرتها وصلت إلى مدن بعيدة .

- وما أفضل مطاعمها؟

الصديق- انه هذا المطعم.

- فعلا إن عليه إقبالا لافتا.

يتوجهان إليه... يطلب صديقه فطيرة فلاف من نوع صاروخ..

الصديق- وأنت ماذا ستطلب؟

- مثلك.

الصديق- هل جننت؟ أنت تعاني من فقر الدم الفولي ، مما يعني انك ستمرض حتما.

- وما المشكلة؟ كلما مرضت أعالج نفسي، ما فائدة الجسد إن لم يسخر لخدمة صاحبه؟

الصديق- كلا لا تفعل ذلك.

- جسدي في خدمتي ، لست أنا في خدمته ، انه ملكي وعليه إسعادي وتنفيذ أوامري، لن يؤدي تناولي لهذا الطعام لموته ، انه مجرد الم سرعان ما سينتهي ولن اخسر شيئا ، بل سأكسب لذة كبيرة مقابل قليل من الألم.

يطلب فطيرة فلافل صاروخ ويأكلها بنهم، ثم يستأنفان نزهتهما ليعود إلى فراشه للنوم

.... في منتصف الليل تشتد آلامه فيأخذه شقيقه للمستشفى مرة أخرى..

الطبيب- أنت مرة أخرى ، لا بد انك تناولت فطيرة فلافل على جري عادتك .

- (بالألم المبرح) لن أكررها مرة أخرى يا دكتور، أرجوك ساعدني.

ينظر إليه بتأفف، يأمر بتنويمه على الفور ...يخضع لعلاج مكثف لتعود إليه حيويته بعد عدة أيام....في آخر فترة إقامته بالمستشفى يزوره طبيب نفسي....

الدكتور- أعرفك بنفسي أنا رئيس قسم الصحة النفسية بالمستشفى.

- أهلا بك يا دكتور .

الدكتور- هل استطيع التحدث معك قليلا؟

- تفضل.

الدكتور- لماذا تحب الفلافل ؟

- لا اعلم، هناك أصناف من الطعام لا أحبها بينما يحبها الآخرين والعكس صحيح.

الدكتور- ولماذا تصر على تتناول الفلافل بالذات؟

- بصراحة يا دكتور لأنها....

الدكتور- لأنها ماذا قل لي؟

- لأنها طعام الفقراء والمستضعفين.

الدكتور- هل هذا هو السبب فقط ؟
- وهي طعام لذيذ جدا ، حتى أن القران الكريم ذكر إن بنو إسرائيل بالرغم من تناولهم لأشهى الأطعمة إلا أنهم طالبوا بالفول والعدس .
الدكتور- ولكنها مضرة بالنسبة إليك.
- ضررها ليس خطيرا فلماذا احرم نفسي منها.
الدكتور- أتذكر أول مرة تناولت فيها الفلافل متعمدا ايداء نفسك؟
- أولا انه ليس إداء ، أنا اعتبره تحميل جسدي شيئا من المشقة في مقابل تمتع روحي بالكثير من السعادة .
الدكتور- نعم ولكنك تناولت الفلافل أول مرة عامدا عندما همت والدتك بمعاقبتك ، ولما تيقنت من قرب العقاب تناولت خمس قطع من الفلافل المطعمة بالسمسم التي كان يعدها عامل البوفيه المصري ، فمرضت وتحولت غضب أمك إلى حنان دافق ، وعقابك إلى رعاية وأمان وحنان.
- كيف عرفت ذلك ؟
الدكتور- لا يهم، ولكن اجبني فقط.
- اجيبك على ماذا؟

الدكتور- أنت تلحق الأذى بنفسك لتحضا باهتمام الآخرين.

- أنا ارفض تفسيرك هذا، أنا آكل الفلافل لأني أحبها ولأنها طعام الضعفاء على هذه الأرض الذين يقاسوا الشقاء كل يوم في سبيل لقمة العيش الحلال ، بينما غيرهم من الأثرياء يأكلون الكبدة والبيض والكافيار والقشدة وغيرها من الأطعمة الغالية والفارهة كل بوم ، ورغم ذلك فان البنى الجسدية للفقراء وذوي الدخل المحدود قوية ومتينة لان البقوليات تحتوي على كافة العناصر الغذائية المفيدة للإنسان.

الدكتور- ولكنها مضرة بالنسبة لك.

- ضررها ليس قاتلا.

الدكتور- (بغضب) توقف عن تناول البقوليات وخصوصا الفلافل!

يكتب له الطبيب المعالج تصريح الخروج من المستشفى ليعود إلى بيته متوترا... سرعان ما يدخل في مشادة مع شقيقه الأكبر، يتهمه بأنه هو الذي اخبر الطبيب النفسي بما كان منه أيام طفولته... يجمع ملابسه ويخرج من منزله غاضبا...

يستلقي على أعشاب الحديقة العامة ... تصله على هاتفه المتحرك رسالة من أخيه..

- قبل عدة أشهر توفي مدرس شاب نتيجة تناوله وجبة بقوليات دسمة ، هل تريد أن تكون التالي؟

.. تنهال الدموع من عينيه ، يسير بهمة نحو السوق المركزي، يشاهد الفقراء وهم يتجمون حول مطاعم الفول والطعمية والكشري وسائر الأطعمة الشعبية ، ثم يعرج على المطاعم الفارهة ليجد روادها من أبناء الذوات وهم يأكلون الكباب وقطع اللحم المشوية وشيش الطاووق والرز الملىء بقطع اللحم الأحمر المقدمة مع السلطات الخضراء وهم يضحون ويتغامزون ....

يجلس في إحدى مطاعم البوريتاريا ...

العامل- بما تأمرني يا سيدي؟

... ينظر إليه بحزن وشفقة ...

- هل تلك الأطعمة من حق الأغنياء فقط؟ وهل خلق الفول للفقراء؟ هل بلغ اضطهادنا لبعضنا البعض لدرجة أن هناك أطعمة مخصصة للفقراء وأخرى للأغنياء؟ أليس من حق الفقراء أن

يأكلوا اللحم والأغنياء أن يأكلوا الفول والطعمية؟

العامل ينظر إليه بانبهار وصمت .. .

- لماذا لا يجرون أبحاث على أطعمة مثل الفول ويزيلوا منها المواد الضارة ببعض الأشخاص مثلي ليتمتعوا بتناولها كغيرهم.
- قل لي لو أصبح الفول غالي الثمن هل سيقبل عليه الأغنياء بعد أن يهجره الفقراء؟ يا لهذه الطبقية البشعة ! يالهؤلاء الأغنياء المغرورين ! يتركون تناول الطعمية فقط لأنها رخيصة الثمن وطعام الفقراء المساكين وذوي الدخل المحدود والكادحين.

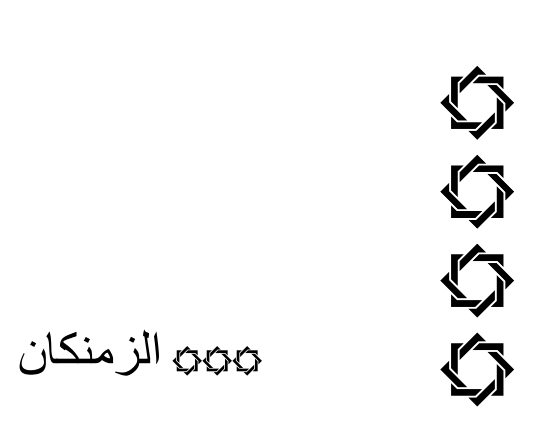
عامل المطعم- سيدي أن الأغنياء لا يأتون ألينا رغم أن مطعمنا نظيف ويخضع لرقابة صارمة من البلدية،ونطبق كافة الاشتراطات الصحية المطلوبة، من المؤسف أن هناك أصناف من الطعام مخصصة للفقراء وأنواع أخرى للأغنياء ، إن هذا التقسيم نحن من وضعناه نحن البشر ولم تكتبه السماء علينا .

.. يطلب منه فول مدمس وفطائر فلافل ليتناولها بهدوء ... يشعر بالدوار ولكنه

يقـاوم بـشراسة، يتنـاول أدويتـه المهدئـة والمزيلـة للألـم ، يشرب كميات كبيرة من المياه ... يرتاح قليلا ثم يمشي متجها نحو سيارته...

- احبك أيها الفول يا ارخص الأطعمة ويا طعام عمال العالم ، اشرف أهل الأرض والذين خرج منهم الأنبياء والمناضلين ، يا طعاما انقد الملايين من الجوع ورافق الإنسانية في مسيرتها الطويلة ، أيها الطعام النقي الذي نأكله من دون أن نزهق روح مخلوق بريء لتعيش اجسادنها على لحمه وتطول حياتنا على حساب حياته.

.... يسير في زحمة الحياة ليبدأ فصلا جديدا من فصولها بدون فول أو طعمية ولكنه يعاهدها بأنه لن ينساها أبدا، وانه حتى لو لم يتناولها سيظل متيما بها إلى الأبد.


الزمنكان



الزمنكان

يغادران مدينة الرياض المزدحمة بشق الأنفس... سيارات ليس لها عد تحمل الموظفين والعمال والطلاب وكافة أصناف المجتمع.. بالرغم من كثرة الجسور والطرق التي من المفترض أن تحل أزمة الاختناقات المرورية في مدينة الخمسة مليون نسمة ، إلا أنه كلما انشات طرق وجسور وكباري ازداد معها عدد السكان والسيارات أيضا ... حتى الطريق السريع الموصل لمدينة الدمام الساحلية على بعد ٤٠٠ كيلومتر أصبح مزدحما في أمياله الأولى...

عبد الله- لقد تحول مشوار الساعة إلى ساعتين يا عزيزي ناصر، لقد تضاعف كل شي في الرياض وهو ما يحسب من وقتنا وحياتنا.

ناصر- بالطبع، إن المواصلات في الرياض تستهلك جزء لا يستهان به من أعمارنا.

عبد الله- يا ليت الزمن يتوقف عندما نتوقف في هذه الازدحامات التي لا تنتهي.

ناصر- لا باس عليك ، اخلد إلى النوم ، ليست سوى أربع ساعات ونصل للدمام .

ينام عبد الله من ساعته....
ناصر- أنت تنام لكي لا تشعر بنصف الزمن المطلوب للوصول إلى الدمام ، يا لحسن حظك ، أنا وحدي الذي سوف أعاني من الملل والإجهاد في هذا الطريق الطويل ...
.. بعد ساعتين يستيقظ عبد الله...
عبد الله- كم بقي من الوقت؟
ناصر- أظن ساعتين ، لأنه من المفترض أننا نسير ١٢٠ كيلو في كل ساعة.
ينظر عبد الله لعلامة الطريق باستغراب..
ناصر- ما بك ؟
عبد الله- هل أنت متأكد من أن السيارة كانت تسير وأنت كنت تقودها؟
ناصر- عبد الله!! هل جننت؟
عبد الله- أنا لم اجن ولكن علامة الطريق تؤكد بأنه بقي على الدمام ٣٠٠ كيلو !!
ناصر- لا شك أنها علامة خاطئة ، ألا ترانا نسير بسرعة لا تقل عن ١٢٠ كيلو؟
عبد الله- نعم أرى ذلك .
... يشاهد عبد الله علامة أخرى
عبد الله- توقف يا ناصر أرجوك.
.. يخرجان من السيارة .. يشعران بان كل شي من حولهما غير طبيعي...

عبد الله- انظر بقي ٣٠٠ كيلو على الدمام !

ناصر- مستحيل ! لا يعقل !

... يسيران ببط وحذر ... الوقود بدا ينفذ... يشاهدان استراحة، يتوجهان إليها على الفور...

عبد الله- ما هذه الاستراحة، لا احد فيها بتاتا.

يملئان السيارة بالوقود ...

ناصر- كم بقي على الدمام ؟

احد عمال المحطة- ٣٠٠ كيلو يا سيدي .

عبد الله- هل أنت متأكد؟

العامل- بالطبع .

يتناولان طعام العشاء ثم يغادران....

عبد الله - لماذا لا يوجد أحدا في هذه المحطة؟ أيعقل انه لا يوجد مسافرين غيرنا؟

ناصر- لا أجد تفسيرا منطقيا، ولكن ألاحظ أن الجو غريب والناس في هذه المحطة غير طبيعيين، ثم انه منذ حلول الظلام لم أشاهد ولا سيارة عابرة.

عبد الله- لماذا لم تقل لي ذلك قبل الان؟

ناصر- لم اعر الأمر أي اهتمام، ثم لا تنسى أننا في وسط الأسبوع.

عبـد الله- المهـم بعـد ٣ سـاعات سنـصل للدمام بالتأكيد.
ناصر- أتمنى ذلك.
يركز عبد الله في ساعته مليا، يطمئن إلى إن الوقت يمضي بشكل طبيعي... الساعة تصل إلى الحادية عشر ليلا..
عبد الله- الم نصل بعد؟
ناصر- لا ادري ، لا توجد أية علامة تدل على ما قطعناه حتى الان .
يستمران في المشي حتى الواحدة فجرا....يشاهدان لوحة إرشادية..
عبد الله- توقف هنا فورا.
يخرجان من سيارتهما .. يفاجأن بأنه بقي على الدمام ٣٠٠ كيلو !!
ناصر- يا الهي! هل ما نحن فيه حقيقي؟
عبد الله- (بخوف) يبدوا أننا متنا وعلقنا في دهليز برزخي!
ناصر- اسمع علينا أن نطلب النجدة فورا، لقد غادرنا الرياض منذ العصر وحتى الان نحن عالقين في هذا الطريق.
... يحاولان الاتصال بأصدقائهما وبدوريات الشرطة من دون جدوى ..
عبد الله- لا تحاول يا ناصر، لا تغطية لشبكة الهاتف المتحرك هنا.

ناصر- ماذا سنفعل الان؟
عبد الله- ليس لنا إلا أن نواصل السير، علنا نصل إلى حل ما.
ناصر- أي حل، لا يوجد احد غيرنا على هذا الطريق المخيف، منذ أن غابت الشمس لم أشاهد أي سيارة عابرة أو شاحنة أو حتى دورية لأمن الطرق.
عبد الله- لا تقلق لا بد من أن نجد مخرجا لما نحن فيه.
...... ينجلي الليل ويحل الفجر ...يلمحان نقطة تفتيش..
ناصر- جاء الفرج يا عبد الله، إنها نقطة تفتيش.
يتوقفان فيها فورا.. لا يشاهدان سوى رجل امن جالسا في كبينته بهدوء تام.
الشرطي- أهلا بكما ، بماذا أخدمكما ؟
ناصر- نحن مسافران خرجنا من الرياض قاصدين الدمام.
الشرطي- على هونكما بقي على الدمام ٣٠٠ كيلو متر فقط.
ناصر- أرجوك دعني أتكلم.
الشرطي- أرجوك أنت سر إلى وجهتك وسوف تصل بعد ٣ ساعات إن شاء الله.

عبد الله- ولكن أرجوك نريد أن نقول لك شيئا مهما.
الشرطي- هيا اخرجا، ليس عندي وقت أضيعه معكما.
يخرجان وقد تملكهما التوتر والخوف اشد التملك...
ناصر- ماذا سنفعل الان؟
عبد الله- سنواصل السير، هذا هو الحل الوحيد.
يواصلان سيرهما، يشاهدان محطة وقود ...يذهبان إليها فورا ...
ناصر- يا الهي أنها نفس محطة الوقود التي تزودنا منها قبل ساعات!!
عبد الله- ماذا يعني ذلك؟
ناصر- لا اعرف .
يحاولان التحدث مع العمال، ولكن من دون جذوا ، يتزودان بالبنزين والطعام ثم يغادران ...يقطعان أكثر من ثلاث ساعات من السير... الصبح أشرقت شمسه وبدا حر الظهيرة بالحلول شيئا فشيئا..
عبد الله- إلى متى ونحن هكذا، ما الذي يحدث لنا؟
ناصر- لا اعلم .
يلمحان هجرة صغيرة...

عبد الله- نحن لم نشاهد هذه الهجرة من قبل أليس كذلك؟

ناصر- بالطبع .

يتوجهان نحوها ويتجولان في أرجائها....

ناصر- لا احد في هذه القرية الصحراوية الصغيرة.

عبد الله- انظر هذا مركز رعاية صحية أولوية.

.. . يذهبان إليه من فورهما... يشاهدان عدد قليل من الممرضات مع طبيبهم..

... يحاولان التحدث مع المرضى ولكن لا احد يجيبهما بالمرة... يحاولان سؤال الممرضات ولكنهن يعرضن عنهما تماما.....

ناصر- الجميع لا يريد التحدث معنا، أمر في غاية الغرابة.

عبد الله- انتظر ، سأحاول التحدث مع الطبيب .

... يستأذن في الدخول عليه ....

الطبيب- أهلا بكم يبدوا أنكما مسافران.

عبد الله- نعم ، نحن كذلك .

الطبيب- هل تعانيان من مشكلة ما؟

عبد الله- نحن متعبان يا دكتور.

الطبيب- من ماذا بالضبط؟

عبد الله- نحاول الوصول إلى الدمام منذ عصر الأمس ولكننا لم نصل على الإطلاق ؟
الطبيب- (ببرود تام) بقي على الدمام ٣٠٠ كيلو فقط! دعني أفحصك لعلك محتاجا لبعض الفيتامينات والمقويات!!
ناصر- ولكننا يا دكتور قضينا في هذا الطريق أكثر من ١٥ ساعة ولم نصل بعد للدمام .
يعرض عنه الطبيب وكأنه لم يسمعه، يصف لعبد الله بعض الأدوية ويأمرهما بالخروج.... يهمان بركوب السيارة وهما في غاية القهر والغبن.. يشاهدان رجل امن ، يلحقان به فورا ...
عبد الله- أرجوك نحن في ورطة كبيرة.
الشرطي- ما الأمر ؟
ناصر- نحن نحاول الوصول إلى الدمام منذ عصر الأمس !!
الشرطي- الأمر في غاية السهولة ، سيرا بسرعة ١٢٠ كيلو في الساعة وسوف تصلان إلى الدمام بعد ٣ ساعات من ألان!!
عبد الله- ولكن....
الشرطي - أرجوكما أنا مشغول جدا...

... يجلسان في سيارتهما وقد تمكن الهم واليأس منهما...

عبد الله- ماذا سنفعل؟

ناصر- فلنعد إلى الرياض.

عبد الله- فعلا لم نفكر في هذا الأمر .

... يحاولان إيجاد مخرج للعودة للرياض فلا يجدان...

عبد الله- ماذا سنفعل الطريق مسيج بإحكام ؟

ناصر- لا بد من وجود مخرج ما.

... بعد فترة طويلة من الوقت يشاهدان مخرج للتدوير.. يتنفسا الصعداء ويأكلان شيئا يقوي جسديهما ثم يسيران بتفاؤل مشوب بالقلق حتى غروب الشمس...

ناصر- اللعنة الم نصل للرياض بعد؟

... يشاهدان لوحة الطريق.. يقفان بجانبها فورا.. يفاجئان مما كتب عليها!!

عبد الله- يا الهي!!

ناصر- ارحمنا يا رب.

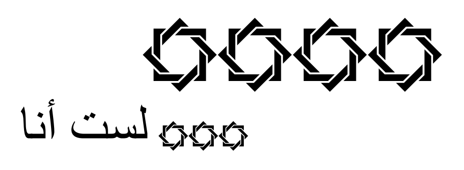
عبد الله- بقي على الرياض ٣٠٠ كيلو متر بالرغم مما قطعناه من وقت ومسافة طويلة!

عبد الله يفقد توازنه .... يضحك ضحكة مجلجلة .. ينزع شماغه ويدوس به أرضا..

يحاول ناصر تهدئته من دون فائدة... يخلع نعليه ويقف في وسط الطريق السريع...

عبد الله- هل يعقل ما نحن فيه؟ هل نحن أموات أم أحياء؟ إذا كنا أموات فلن تصيبنا المركبات المسرعة بسوء وان كنا إحياء فسوف ننقل على عجل للرياض لتلقي العلاج.

يبكي .. يضحك ... يتحرك بعشوائية، بينما يقف ناصر تعيسا بائسا لا يقوى على فعل شي، تغيب الشمس ويحل الظلام ولم تظهر لهما أي سيارة عابرة.... يهدئان قليلا ليواصلا السير في الطريق المظلم الطويل علـه يوصلهما إلى الرياض أو أي مدينة أخرى يستأنفان فيها حياتهما وسط الزحام.



لست أنا



لست أنا

- لست أنا .
- كل الأدلة ضدك ، أنت المتهم الوحيد .
- صدقوني لست أنا.
- وآثار الدماء التي وجدناها في سيارتك!
- لست أنا.
- والشهود الذين اجمعوا على انك كنت الذي يقود السيارة التي ارتكبت فيها الجريمة البشعة.
- لست أنا .
- لقد طابقنا البصمات علنا نجد بصمات شخص غيرك قد يكون هو من ارتكب الجريمة إلا إننا لم نعثر إلا على بصمات شخص واحد هو أنت.!
- لست أنا.
- سيادة القاضي إن هذا المتهم الماثل أمامكم هو الذي ارتكب جريمة القتل وأطالب بأقصى العقوبات.
- لست أنا.
- بل أنت، أتنكر أن بينك وبين القتيل مشاكل عديدة وعداوات متكررة.
- نعم ولكن لست أنا.

- الم تهدده بارتكاب شي لن يخطر على باله أبدا؟
- نعم ولكن لست أنا.
- لقد حققنا مع عشرات الأشخاص وكلهم اجمعوا على انه كان دائم النزاع مع أشخاص قلائل أنت أولهم .
- أرجوكم صدقوني لست أنا.
- حتى عامل محطة البنزين شهد انك ملئت خزان سيارتك في فترة ارتكابك للجريمة.
- لست أنا.

يعلن القاضي تأجيل المحاكمة لمدة ثلاثين يوما... يرسل إلى السجن ليقضي فيه أيام وليالي المحاكمة الطويلة..... كان قبل ذلك كأي مواطن عادي يخرج في فترة العصر لقضاء حوائجه ويستمتع بالذهاب إلى سوق السلع القديمة ليقضي فيه فترة المساء الأولى بأكملها، ويجد في أرجاءه بغيته بنصف ثمنها ، في ذلك اليوم وعندما بدأت الشمس بالغروب وتسلل الظلام توجه لسيارته الأمريكية الصنع التي مضى على صنعها أكثر من خمسة عشر عاما ، ولكنه يأبي أن يغيرها لقوته ومتانتها وتوفر قطع غيارها ...بينما هو

عائدا إلى منزله فرحا بجهاز التلفزيون ذو أل ٣٢ بوصة، الذي اشتراه بنصف ثمنه، أوقفته سيارة شرطة، كان يعتقد أن رجل الأمن أوقفه بسبب تحميله للتلفزيون، وان عليه أن لا يستخدم سيارته الخاصة في نقل السلع، طلب منه الشرطي رخصة قيادته وكافة مستنداته الرسمية واحتجز مفتاح سيارته وطلب منه البقاء فيها ، بعد دقائق معدودة حوطته مجموعة من سيارات الشرطة وسرعان ما القي القبض عليه واخذ مقيدا إلى مقر الشرطة الرئيسي ، وهناك اتهم بقتل احد الأشخاص دهسا بسيارته ....

- لا تقلق لن يحكم عليك بالقصاص إلا بعد أن يكبر أبناء القتيل.
- ربما يتنازلون عن حقهم في إعدامك مقابل مبلغ ضخم من المال.
- صدقوني لست أنا.
- لا تقلق لن يخبرك احد بموعد تنفيذ حكم الموت بك، في الصباح سيأتون إليك ويحقنونك بإبرة مخدرة، بعدها لن تشعر بشيء أبدا.
- لا يحدث هذا في كل الحالات ، الم تعرفوا ما حدث لآخر سجين ثم

إعدامه، وضعوه في زنزانة انفرادية ، وفي اليوم التالي أعدموه .

- لست أنا .
- يا لغبائك عندما دهسته، أما كان الاجذر بك أن تفر هاربا.
- أوه لو كنت موجود خارج السجن لقتلته لك بإتقان ولكنت الان مسترخيا بهدوء تام بين زوجتك وأطفالك .
- لست أنا.
- بالطبع حتى في القتل لا بد أن يمتلك المرء خبرة ومهارة، كل شي في هذه الحياة يتطلب ذلك.
- يا لبؤس الإنسان يقتل أخاه من اجل أسباب تافهة، لو كنت مكانك لغادرت الحي الذي اسكنه إلى حي آخر لتنتهي مشاكلي مع الآخرين إلى الأبد.
- لست أنا .

... بعد ثلاثين يوما ينطق القاضي بالحكم (السجن مدى الحياة)...

ينادي ذووا القتيل بعدم عدالة الحكم ويطالبون بالإعدام...

- أيها المجرم قتلت أخي من دون ذنب، الموت لك.
- لست أنا.

- سنستأنف الحكم حتى نراه مشنوقا في الحي .
- لست أنا.
- لن يشفى غليلي حتى يراه زوجه وأبناءه وإخوته وسائر أهله متأرجحا بحبل المشنقة.
- لست أنا.

... يساق إلى السجن ليقضي فيه عقوبته... لا احد يزوره في منزله الجديد فالكل تخلى عنه.. التهمة ثبتت عليه.. حتى زوجته وسائر أرحامه لم يعد لهم وجود في حياته الجديدة... يذبل شيئا فشيا .. لا حياة له في السجن ولا أمل له في المستقبل..لم يعد لوجوده أي معنى ... إلا إن الشتاء مهما طال لا بد أن يعقبه الربيع...

- استعد ستذهب إلى مقر النيابة مجددا.
- لماذا؟
- ليفرج عنك.
- مستحيل.
- لا شي مستحيل، ستعرف كل شي هناك.

...يصل إلى النيابة العامة، يشاهد عدد كبير من أقاربه وأهالي الحي بانتظاره

وفـي مقـدمتهم زوجتـه وأطفالـه وأشـقائه... يستقبله وكيل النيابة بابتسامة ولطف ...

- لقد ثبتت براءتك .
- كيف ذاك ؟
- إن القاتـل شـخص لـه فـي ذمـة القتيـل آلاف الـدنانير ، وعنـدما أنكرهـا قـرر قتلـه ، لقـد درس كافـة تفاصـيل حياتـه وعرف انه على توتر دائم معك ، وقد استغل هذه النقطـة في تنفيذ جريمتـه، لقد عرف كل شي عنك ، وغاص في تفاصيل حياتك كلها ، حتى انه أصبح يعرف كم من الوقت تقضي في السوق ، وأنواع الملابس التي ترتديها وألوانها أيـضا! كمـا عـرف تـسريحة شـعرك وطريقـة حلاقتـك لـذقنك !! وفـي ذلـك اليوم قرر ارتكاب الجريمة.
- ماذا فعل؟
- عندما ذهبت للسوق على جري عادتك ، ووضعت سيارتك في مكانها المنعزل المعتـاد ، فـتح سـيارتك بمفتـاح طبـق الأصـل مـن مفتاحـك ، تمكـن مـن الحـصول عليـه بـسهولة نظـرا لقـدم موديـل مركبتـك ، ذهـب بـسيارتك إلـى الحي بعد أن تنكر بهيئة تشبهك تماما ،

اتصل بالضحية على انه أنت فخرج له وكان الشارع شبه خاليا ودهسه مرة واحدة كانت كفيلة بموته على الفور، فر بسرعة رهيبة وشاهده عدة أشخاص على انه أنت ، زود السيارة بكمية الوقود التي استهلكها في الجريمة ثم أعادها إلى مكانها ، ثم غادر البلاد على الفور ، ولم يعد إلا بعد انتهاء القضية وإغلاق ملفها بالكامل ، وقد تمكنت أجهزة الأمن منه بعد فرز كافة مكالمات القتيل ، وقد انهار من أول تحقيق واعترف بارتكابه للجريمة .

... يخرج من مقر النيابة منشرحا .. يستقبله الجميع، تحتضنه زوجته وأطفاله وكافة أعزائه... زوجته- سامحني يا زوجي الحبيب.

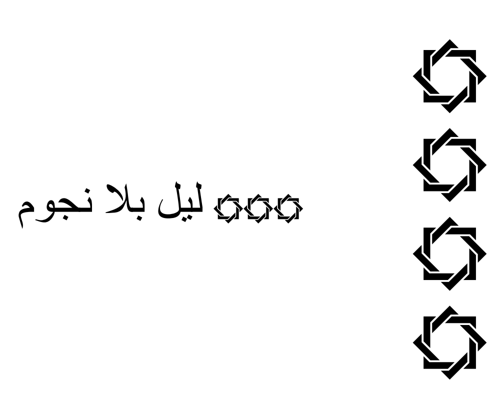
- الم اقل لكِ لست أنا؟

أشقائه- سامحنا لقد اعتقدنا بأنك من الممكن أن تقوم بهذا العمل الرهيب.

- قلت لكم لست أنا.

يخرج إلى الدنيا جذلانا .. ينظر إلى الوجود من حوله مبتسما .... يرفع صوته

عاليا لتسبح كلماتـه فـي الفضـاء اللامتنـاهي
... لست أنا .. لست أنا ..



۞۞۞ ليل بلا نجوم



ليل بلا نجوم

كانت مستلقية على سريرها تقرا في إحدى المجلات عندما دخلت عليها أمها وقبلتها في جبينها... انتابتها الدهشة من هذه العاطفة المفاجأة التي اعترت والدتها .. فجأة تسمع الزغاريد تملا أرجاء بيتهم الذي تسوده حياة مليئة بالتابو ...

الأم- مبروك يا ابنتي لقد جاءك نصيبك.

- نصيبي! لم افهم.

الأم- لقد تقدم لك رجل محترم ووالدك وافق عليه.

.. تقف كطائر مكسور جناحه أو كطير إصابته ضربة قوية.... تشعر بصداع رهيب.. كأن وساوس الشياطين تجمعت في دماغها الصغير... تحتضنها أمها برأفة...

الأم- ما بك يا ابنتي؟

- أنا لا أريد أن أتزوج يا أمي.

الأم- لا تقولي مثل هذا الكلام لوالدك حتى لا يحل غضبه عليك، أنت تعرفين تقاليد عائلتنا والأعراف التي تحكمنا، لقد بلغت سن الزواج يا ابنتي وعليك التقيد بأوامر والدك.

.. يستدعيها والدها ... يخبرها بعزمه تزويجها من رجل في الخمسينات من عمره وان عليها أن تتجهز للاقتران به بعد شهر من الان ...

- ولكن يا أبي أريد أكمل دراستي.

الأب- سيسمح لك بالدراسة، لا تقلقي.

- ولكن

الأب- (بحزم) ولكن ماذا؟

_ لا شيء.

... بعد عدة أيام تتجهز للذهاب للمحكمة بصحبة والدها وأمها وزوجها المرتقب.. تركب سيارته الفخمة .. تختلس النظر إليه فتشاهد عينين غائرتين وملامح عتيقة وصوتا خشنا.... يتقدمون باتجاه قاضي الأحوال الشخصية .... تسير إلى جانب والدتها كأنها طفلة صغيرة خائفة مما حولها.. ينظر إليها خطيبها بتأمل سرعان ما يتحول إلى شره ... يكتب كاتب العدل المهر بمائة ألف ريال وجواهر بأكثر من ٣٠ ألف ريال ومبالغ مالية يقدمها الزوج كهدية لوالدي عروسته...

يسألها القاضي: هل تقبلين به زوجا؟ ... تصمت برهة .. إلا إن نظرات والدها

المتوحشة ووجه خطيبها المتجهم ونظرات أمها اليائسة تجبرها بان تقول نعم...

تعود إلى منزلها .. تقبلها أمها بعطف بالغ بينما تغمر والدها فرحة عارمة...

الأب- أخيرا سوف احل مشاكلي المالية، سأسدد كافة ديوني وأعيش عيشة هانئة، ماذا أريد، من الدنيا بعد؟ ابنتي سوف تتزوج وديوني سأقضيها وسيرتفع رصيدي في البنك ولن يستقطع من راتبي أي مبلغ لهؤلاء الأدعياء....

.. يلتفت إلى ابنته ...

- يا ابنتي عليك أن تكوني زوجة صالحة مثل أمك، هذا الرجل اخترته لك بعناية فائقة وسوف يسعدك ويكون لك زوجا يخشى الله فيك...

.. تغرب عنه باتجاه غرفتها وقد أجهشت بالبكاء...

الأب- ما بالها؟

الأم- لا تقلق إن هذا هو ديدن الفتيات عند بداية زواجهن ، ستعتاد الأمر.

.... تبكي بكاء مرا .. تدخل عليها والدتها ... تحتضنها بحنان زائد...

الأم- ما بالك يا ابنتي ؟ ألستِ سعيدة؟

- كلا .

الأم- لماذا يا حبيبتي؟ إن الزواج قدر كل امرأة .

- ولكنه رجل كبير في العمر، أنا عمري ١٨ سنة وهو ٥٥.

الأم- يا بنيتي ستعتادينه وتألفينه، انه مطلق، ستكونين الزوجة الوحيدة في حياته، صدقيني لقد أحسن والدك اختياره.

.. تستسلم لقدرها .. زوجها لا يتصل بها فتقاليد العائلة تمنع اللقاء بين الزوجين قبل ليلة الزفاف.. تقضي شهرها الفاصل عن قدرها في اختيار الملابس والاكسسوارات وثوب الزفاف وكافة مستلزمات ليلة العمر...

تزور والدتها مجموعة من نساء الحي.. تجلس معهن بصمت...

- الم تسمعن عن تلك الفتاة التي هربت من زوجها في ليلة دخلتها؟ لقد تمكنت الشرطة من القبض عليها وإعادتها إليه.
- يا لها من امرأة غير مهذبة، ولكن زوجها سيعمل اللازم وسيربيها من جديد.
- الم تسمعن آخر خبر ؟
- ما هو؟

- امرأة تقيم مع زوجها في أمريكا، ولما ضربها أبلغت الشرطة.
- يا لها من قليلة الأصل، تشتكي زوجها لهؤلاء.
- ثم ماذا حدث؟
- عاد هو وبقيت هي هناك، وقد طلقها وتبرا أهلها منها.
- ستندم على ما فعلته في يوم ما وحينها لن ينفعها الندم .

تستأذنهن وتدخل غرفتها .. تفتح الشرفة قليلا وتتأمل الشارع الذي تطل عليه... تشاهد شبانا يتجولون على جانبيه بمرح... تنهمر من عينيها بضع دمعات..تشعر بيد دافئة تمسك بكتفها ...

الأم- ما بك يا ابنتي ؟ لماذا تقفين هنا؟

ترتمي في أحضان والدتها والدموع تتساقط من عينيها بغزارة ...

- لا شي يا أمي. لا شي.

تخرج قبل لياليها الفاصلة عن حفلة زفافها لشراء ما تبقى من مستلزمات زواجها..تشاهد فتية وفتيات يشترون مثلها أغراض خاصة بليلة العمر اليتيمة...

فتاة- يبدو انك مقبلة على الزواج ؟

- نعم .

الفتـاة- أنـصحك إذن بـشراء هـذا الموديـل فهو رائع حقا .
يناديها خطيبها... تنظر إليه بصمت مركب ... تـشاهد ثوبـه الأنيـق وذقنـه الحليـق وابتـسامته الـساحرة .. تتأملـه وهـو يتبـادل الابتسامات مع خطيبته .. تنظر إليهما مليا حتى يغيبا عن ناظريها إلى الأبد.... تنظر إلـى الـشبان والـشابات مـن حولهـا فتـشعر بالغبن .. تنهمر الدموع من عينيها..تخرج من المحل باكية ... تناديها والدتها ...
الأم- انتظري يا ابنتي. إلى أين أنت ذاهبة؟
.. تفر إلـى دورة المياه المخصصة للنساء لتكمـل فيهـا بكاءهـا... تـدخل عليهـا أمهـا وتحتضنها بعطف وشفقة...
الأم- ما بك يا ابنتي؟ اخبريني .
... تستمر في البكاء دون جواب ...
... تعـود إلـى منزلهـا وتـستلقي علـى فراشها.. تغفو برهة من الزمن عن عالمها الملـيء بـالقيود... تـستيقظ علـى صـوت والدها ...
الأب- بعـد ثـلاث أيـام سـتكونين زوجـة حقيقية يا ابنتي.
لا تجيبه بنبش كلمة ...

الأب- سمعت من أمك بعض الأشياء الغير مقبولة.
تلتفت إليه باهتمام ....
الأب- يا ابنتي عليك أن تكوني زوجة صالحة، ما تمرين به شي طبيعي، ستعتادين على وضعك الجديد، أفهمت ؟.
- (بغبن مشوب بخوف) نعم يا أبي.
ليلة الزفاف تأتي سريعا كانها القدر المحتوم .... ترتدي ثوب زفافها الأبيض الطويل... تشعر بأنه ثقيل عليها وكأنه مارد تملك جسدها... تدهن يديها ورجليها بكافة أنواع الأصباغ.... تتولى الكوافيرة صبغ حاجبيها وشفتيها وتغيير تسريحة شعرها .... تغفوا لحظات فتشاهد نفسها وهي تمتطي جواد ابيض بصحبة شاب لا ترى ملامح وجهه... تعود إلى رشدها على وقع قبلات من أمها وخالتها وعماتها وبقية أرحامها وأقاربها.. تجلس على كوشة العرس وسط الأهازيج والأغاني ورقص الفتيات.. تنظر إلى كل من حولها بصمت مكنون... تتأمل وجهها في المرآة فترى وجه غير وجهها...
الأم- ابتسمي يا ابنتي فهذه ليلة عمرك التي لن تعيشيها ثانية.

... يدخل عليها زوجها ويقبلها في جبينها، يجلس إلى جانبها وقد بدا كأنه طفل إلى جانب لعبته المفضلة.... ينتهي الحفل ليأخذها إلى بيتها الجديد... تقضي ليلة دخلتها في البكاء...

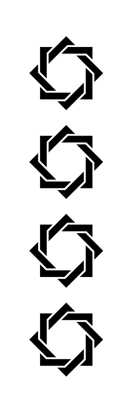
الزوج- توقفي عن هذا البكاء؟ هل تريني وحش أمامك؟

يتركها علها تهدا.. ينام في غرفة أخرى .. يأتي الصبح سريعا .. يتقدم ببط نحو غرفتها وكله أمل في أن تكون على ما يرام.. يجد الغرفة مقفلة .. يطرق الباب بلطف إلا أنها لا تستجيب.. يشعر بان شي ما قد يكون حدث لها.. يحطم الباب ويقتحم الغرفة ويشاهد زوجته تتدلى من رقبتها كأنها غصن شجرة ذابلة... يجهش بالبكاء والنحيب ... تخور قواه سريعا ... لا يتأخر وصول الشرطة وأفراد عائلتها ... يسلم رئيس فرقة الشرطة والدها ورقة كتبتها قبل رحيلها...

- أمي مثلما كنت تعتني بي وترعيني أيام طفولتي فاني أوصيك بان تغسليني في مماتي ، أمي اذكريني كلما شاهدت قرص الشمس يميل نحو الغروب ، أمي احبك ولن أنساك أبدا .



۞۞۞ تموجات



تموجات

تعود إلى بيتها وهي في غاية الإنهاك، وذلك بعد تسع ساعات من العمل بمواصلاته المزدحمة ولكنه كان في انتظارها...
سامي - أهلا بك يا مدام ، حمدا لله على سلامتك.
تكتم غضبها وثقل إرهاقها ..
سامية – أهلا حبيبي، سأرتاح قليلا وأعود إليك يا اعز مخلوق على قلبي في هذا الكون.
.. يقوم من كرسيه ويباعده بغلظة وكأنه يستعد لخوض جولة عراك محتدمة..
سامي- لقد سئمت منك ومن عملك هذا، اختاري إما أنا وإما هو.
.. تجلس على الأرض وتطاطا رأسها للأسفل وكأنها تسعد للمواجهة ..
سامي – أجيبيني يا هذه! هذا اليوم هو يوم الفصل، لقد حانت ساعة الحقيقة فاستعدي لمواجهتها..
... تقوم على رجليها بسلاسة واضحة، تمسك بكرسي وترفعه على الأرض ثم تقذف به بعيدا...

سامية ـ لولا عملي هذا لما تحسن اقتصادنا العائلي ، أليس كذلك؟
تحمر عينيه ويتغير لونه وتتبذل ملامح وجهه .. يرفع هو الآخر كرسي ويقذف به على الأرض...
سامي- وقد تحسن ولم نعد بحاجة إليه فتفرغي لي ولأطفالك.
تعرج على التحف وتمسك بها وتحطمها على الأرض ...
سامية- لست امة عندك ، ولن أن أكون خادمة لك ولأطفالك ، عملي قوتي ، التي من المفترض أن تكون سندا لقوتنا كعائلة وكزوجين ...
.. يتقدم هو الآخر لما تبقى من التحف ويقذف بها نحو الجدار لتتحطم وترتد بقاياها عليهما...
... تمسك بقطع الأثاث وتقلبها ... يمسك بالتلفزيون ويرميه أرضا ... تنظر حولها علها تجد لها ضحية جديدة، لا تجد سوى جهاز التكييف.. تذهب إليه وتعمد إلى تشغيله وإطفاءه عدة مرات حتى تخمد أنفاسه نهائيا....
هو الآخر يجد في طاولات الضيافة ضحية جيدة... يمسك بها واحدة تلو الأخرى ويقذف

بها على الجدار لتتكسر وتتفتت إلى قطع كبيرة ليس لها قيمة...

يتجهان إلى المطبخ ....

سامي- تفرغي لي ، أنا بحاجة إليك، الم تعلمي أن الرجل يبقى طفلا بحاجة إلى الرعاية، فمنذ صغره وحتى زواجه ترعاه أمه، وبعد ذلك ترعاه زوجته ، وهكذا هو إلى آخر عمره .

سامية- سأمنحك ما استطيع من وقتي وأهبك كل حبي وحناني أنت وأطفالك.

سامي- أريد كل وقتك وكل حياتك.

سامية- إذن أنت تريد أن تستنزفني ، وما أن أصبح كالخرقة البالية حتى تذهب إلى غيري .

سامي- لأني احبك فانا أريدك مسخرة لي، حبي سيمنحك الطاقة والقوة ما دمتي تحبينني وما دمت احبك.

سامية- إن حبك ليس سوى نرجسية ذكورية ، فالحب عطاء متبادل وطموحات مشتركة .

... لا يتحمل كلامهما ..يعرج على أواني المطبخ فيبعثرها في كل اتجاه ... تكشف عن ساعديها وتدفع الثلاجة لتوقعها أرضا... يمسك بخشبة التنظيف ويكسر بها

البوتاجاز الذي لم يمضي على وجوده سوى خمسة شهور فقط.. تبحث عن ضحية فتجد برادة الماء المستترة ، تنزع مكبسها الكهربائي وتقلبها بعنف .. ينسكب الماء ليغرق أرضية المطبخ... تغادر إلى الصالة لتستريح قليلا... إلا انه يقبل عليها بوجهه مكفهر قائلا...

سامي- من تظنين نفسك ؟ لست سوى أرضا جدباء، أنا من زرعك وجعلك خضراء مزدهرة؟

سامية -ومن تظن نفسك؟ لو لم يخرج الماء من باطني لما تمكنت من زرعي.

يباغتها بهجوم مفاجئ ... يكسر التلفزيون والمكتبة، فتعمد هي لتحطيم التحف والصور المعلقة على الحائط.... يتوجه إلى غرفة الأطفال ليأخذ فيها استراحة محارب إلا إنها تباغته...

سامية- أنا الشمس وأنت القمر ، أنا المدار الذي تدور حوله ، ولولاي لما استطعت تحقيق شي في حياتك .

سامي- وما فائدة الشمس يا سيدتي إن لم تمنح الدف والحياة للوجود من حولها؟ بي أصبح لك نفعا وبي ستصبحين شي عديم الأهمية.

سامية- أنا النجوم وأنت الليل.
سامي- قد يكون هناك ليلا بلا نجوم، ولكن يستحيل أن تكون هناك نجوم دون ليل.
.. لا تتحمل كلامه ... تقلب سرير طفلهما الأول، لا يتمالك نفسه فيقلب هو الآخر سرير طفلهما الثاني... تعمد إلى مكتبة الأطفال فتقلبها، يمسك بالكتب الملقاة على الأرض فيمزقها ... تذهب إلى دورة المياه وتغلقها على نفسها.. يعمد إلى تحطيم الباب... تحطم هي حنفية الغسيل فيحطم هو حنفية المسبح..تمسك بالغسالة وتحاول قلبها ، يمسكها معها لتنقلب وينسكب ماءها المخلوط بالصابون والكلوركس على أرضية الحمام ... يصرخان .. يهيجان في بعضها ثم يغادران إلى غرفة النوم ...
سامي- لماذا تريدين أن تلعبي دورا اكبر منك وان تحتلي مكان لست مؤهلة له ؟
سامية- ماذا تقصد؟
سامي- من الرجل خرج الأنبياء والأولياء والفلاسفة والمصلحين والعباقرة والمخترعين والمكتشفين وكبار الشخصيات في تاريخ الإنسانية، أما انتن معاشر النساء فماذا قدمتن؟

سامية- كان وراء كل رجل مما ذكرت امرأة، أو ليس الأنبياء مرسلين ومسددين من قبل السماء ؟ فلماذا كانوا متزوجين كباقي البشر؟ لماذا كان في حياة كل واحد منهم امرأة ؟ وهكذا كان حال بقية ما ذكرت ممن ساهموا في بناء حضارة البشر على هذه الأرض.

.. لا يمتلك جوابا إلا إن وجهه الذي يتطاير منه الغضب يزداد كبرياء، يعمد إلى دولاب الملابس فيبعثر ملابسهما، تمسك هي بستارة الغرفة فتكسرها.. يعمد هو إلى المرآة فيهشمها . .. أنفاسهما المرهقة جعلتهما كأسدين متصارعين أو نمرين جريحين... يصعدان سرير نومها... ينظران إلى بعضهما البعض بكره مشوب بالحب...

سامي- أنتِ السبب في كل ما حدث لنا اليوم.

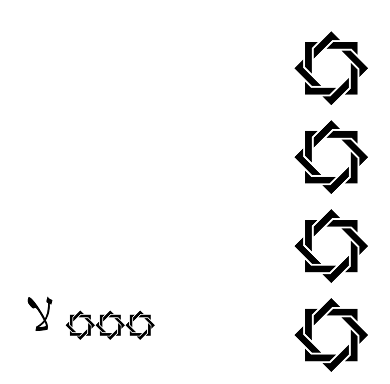
سامية- بل أنت السبب .

....تتضعض أركان السرير فيسقطان على الأرض ... لا يقويان على الحراك ويغمى عليهما ... يستيقظان .. يتأملان في بعضهما البعض بتعجب.. يلقيان نظرات خاطفة على بيتهما وقد تحطم أثاثه من أوله

إلى آخره ... تزداد تأملاتهما المتعجبة إلى بعضهما البعض... تبتسم .. يبتسم معها . يضحكان ضحكة مجلجلة .... يتعانقان مع بعضها ويتعاهدان على إكمال حياتهما رغم التموجات العاتية التي تتعرض له في بعض الأحيان ..

سامي- حبيبتي أنت كالشمس التي نحبها يوما ونكرهها يوما آخر، ولكننا لا نستطيع أن نستغني عنها أبدا.

سامية- حبيبي أنت كالبحر الذي بالرغم من ملوحته وأخطاره لا يمكننا أن نعيش من دونه أبدا .


لا

لا

يستيقظ من نومه مبكرا ويتناول طعامه بهدوء تام ...

زوجته- ما بالك لا تتكلم يا عزيزي؟

- أريد أن أقول لك شي مهم.

زوجته- تفضل

- أريد أن أقول لا.

... تصدم من كلامه...

زوجته- هل جننت ؟ تريد أن تقول لا.

- نعم هذا قرارا اتخذته ولن أتراجع عنه أبدا.

زوجته- إن لم تفكر في نفسك ففكر في وفي أطفالك الصغار.

- لن تصابوا بسوء .

زوجته- بل سيصيبنا الأذى نحن أيضا ، لا تكن أنانيا يا عزيزي ، تخلى قليلا عن حبك الشديد لذاتك ..

يخرج غاضبا ويتوجه إلى عمله ... يجلس على مكتبه صامتا ...

زميله- ما بالك اليوم تبدوا كئيبا ؟
- لا شي.
زميله- لا بد انك تعاركت مع زوجتك قبل مجيئك.
- حقا هذا ما حدث.
زميله- اخبرني لعلني استطيع مساعدتك.
- قررت أن أقول (لا) فغضبتِ.
زميله- (بخوف) اسكت لا يسمعنك احد، هل فقدت عقلك؟
- لا بد أن أقولها هذه المرة.
زميله- لا تفعل، ستخسر عملك وحريتك، عندها حق في غضبها منك، لأول مرة أكون إلى جانب امرأة ضد رجل.
- حرية دون أن أقول لا ليست سوى سجن كبير.
... يعود إلى منزله، يتصل به اعز أصدقائه..
- أهلا بك أتمنى أن تكون بخير.
صديقه- الحمد لله حدثني عن آخر أخبارك.
- لقد قررت قرارا مهما.
صديقه- أنا أحب الأشخاص الذين يتخذون قرارات كبيرة وينفذونها رغم المعوقات والعقبات التي تقف بوجههم والمشاكل التي ستعقب تنفيذهم لها.

- كلامك رائع ، شكرا لتشجيعك لي .
صديقه- ما هو قرارك؟
- أريد أن أقول لا!
صديقه- (بتلعثم) ماذا!!
- سأقول لا.

يغلق سماعة الهاتف في وجهه .... لا يهتم للأمر كثيرا، يرتاح قليلا ثم يذهب إلى القهوة المكتظة بأصناف عديدة من الزبائن... يجلس بصحبة أصدقاء القهوة الذين اعتاد الكلام معهم في شتى الأحاديث...إلا انه يجلس بينهم صامتا على غير جري عادته...

صديق- ما بالك اليوم لا تتحدث معنا ، الم يعجبك أي موضوع مما تحدثنا به حتى الان؟
- ليس الأمر هكذا ولكني أريد أن أقول لكم شيئا مختلفا اليوم.
صديق آخر- ما هو؟ شوقتنا لسماعه.
- أريد أن أقول لا!!

ينتابهم صمتا مطبق.. يتطلعون في وجوه بعضهم البعض في خوف.. ينسحبون واحد تلو الآخر بهدوء ... لا يتحمل ذلك تنتابه نوبة غضب مفاجأة .. يرفع صوته عاليا ..

- هل انتم خائفون ؟ أنا من سأقول (لا) وليس انتم، عودوا إلى أماكنكم.

.. ينظـر إليـه زبـائن القهـوة بارتيـاب وخوف.. يتقدم نحوه رئيس العمال ويطلب منه الخروج فورا.
رئيس العمال- هل جننت؟ أتريد إغلاق القهـوة وقطـع أرزاق هـؤلاء العمـال المساكين ؟
.. يخرج ونظراته الحادة تحدق في كافة أرجاء القهوة، ما أن يخرج نهائيا حتى يخاطب رئيس العمال زبائنه قائلا:
- إن هذا الزبون أعصابه متعبة ولم يكن يقصد ما قاله ، فلا تحملوا الأمر أكثر من اللازم.
يمشي في شوارع المدينة وقد استنزفه التفكير والإرهاق...
- ما قيمتي إن لم اقل (لا) ؟ ما قيمة هذه الحياة حتى أخاف من قولها علنا... يقرر السير في أزقة ضيقة يسمع فيها نباح الكلاب ونواء القطط...
- كل هذه المخلوقات تمارس حقا في الكلام والتعبير عن مشاعرها فلماذا يجرموني عندما أتحدث بما أشاء؟ لماذا لا يريدوني أن أقول (لا) ؟
يعود لمواصلة المشي في وسط المدينة، يشاهده احد أصدقائه ، يعرض عليه السهر

في صالة السينما .. يقبل فورا علـه يـريح نفسه قليلا...ولكنـه بعد فتـرة مـن متابعتـه للفيلم يغرق في التفكير والسرحان...

الصديق- لماذا لا تتابع الفيلم ؟

- مشغول بموضوع ما.

الصديق- ما هو ؟ قوله لي علني استطيع مساعدتك .

- أريد أن أقول لا.

يسمعه جيرانه من المشاهدين فيغيرون أماكنهم على الفور ....

الصديق- اخفض من صوتك؟ هل تريد أن تقضي ليلتك خارج منزلك ؟

- سئمت الحياة من دون أن أقول (لا).

الصديق- - أرجوك اسكت أنا عندي عائلة وأطفال.

يغادر القاعة ..

الصديق- اجلس يا صديقي ودع عنك هذا الهراء.

ينظر إليه بغضب قائلا:

- سأذهب لأقول لا.

يعود إلى منزله .. يجده خاليا.. يستلقي على فراشه .. يعثر على ورقة بيضاء.. يقراها فإذا هي رسالة من زوجته..

- زوجي الحبيب، إذا عدت إلى رشدك وعاهدتني بان لا تقول (لا) فسوف أعود إليك زوجة مطيعة ومخلصة..

يرمي الورقة ويستغرق في نوم عميق.......... يرى نفسه يطارد (لا) في كل مكان... يحاول الإمساك بها ولكنها تهرب بعيدا .. يستلقي على جذع شجرة و(لا) أصبحت على مقربة منه ... يدنوا منها من دون أن تلاحظ..

- (لا) أخيرا سوف امسك بك وينطق بكٍ لساني...

... ما أن ينطق بحرفها الأول حتى يستيقظ من النوم ليرى حوله زوار الفجر....يأخذونه بعيدا في
شتاء فجر يوما شديد البرودة...

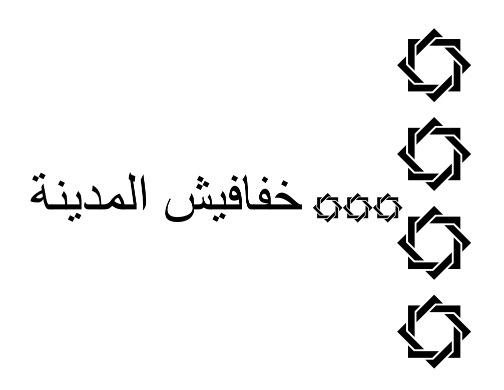
... يلقى به في غرفة مظلمة إلا من ضوء خافت... يبقى فيها ساعات طويلة، من وقعها على نفسه تصور انه سيبقى فيها إلى الأبد... إلا إن مصابيحها البيضاء تفتح ليشاهد في زاويتها الرئيسية الضابط المكلف بالتحقيق معه..

المحقق- أتعرف لماذا أنت هنا؟

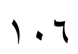
- لا اعرف. ما الذي فعلته؟

المحقق- لم تفعل بل قلت.
- هل القانون يجيز محاسبة المرء على قوله؟
المحقق- بالطبع الم تسمع المثل الذي يقول إن الحرب أولها كلاما، ونحن مهمتنا أن نرصد الفعل وهو جنين ، أي فكرة في ذهن صاحبه .
- ما هي تهمتي؟
المحقق- أنت متهم بأنك تريد أن تقول (لا)
- أنا لم اقل (لا) بل أريد أن أقولها، فهل أعاقب على ذلك؟
المحقق- الله آله السماء ونحن آلهة الأرض ! .
- ماذا تقصد؟.
المحقق- اعني بأننا نحاسبك على نيتك أيضا.
يقذف به في سجن بعيد ... هناك يعلن عن نيته في قول (لا) فيأخذ إلى سجن ابعد، إلا انه يستمر في إعلان نيته قول (لا)... يأخذ به إلى زنزانة انفرادية فيكتب على جدرانها (لا)..... يحظر عليه كل شي حتى لا يجد منفذا لكتابة (لا).... لا يتحمل حرمانه من الكلمة التي وجد فيها معنى لحياته فتغادر روحه جسده بسلام... يرى

ميتا في سجنه وقد كتب من دمه في لحظاته الأخيرة (لا) على جدار السجن.... يمسح الجلاد الكلمة التي كتبها من دمه إلا أن طيفها يحلق في الآفاق البعيدة أملا في أن ينطقها أحدا في يوم ما.



خفافيش المدينة



خفافيش المدينة

الحياة في هذه المدينة شبه طبيعية منذ شروق الشمس إلى غروبها، يذهب الأطفال لمدارسهم والموظفين لأعمالهم والمتاجر تفتح أبوابها، تعود السلطة للظهور مرة أخرى، فدوريات الأمن والمرور تمارس أعمالها كالمعتاد.. ما أن يقترب المساء حتى تشهد شوارع وطرق وأسواق المدينة اكتظاظا مهولا، كافة المواطنين على عجلة من أمرهم، جميعهم يريدون أن يتزودوا من احتياجاتهم الغذائية وقضاء مصالحهم الملحة.....ما أن تغيب الشمس ويحل الظلام حتى تتحول المدينة إلى مدينة أشباح حقيقية.... حظر تجول شامل ، معظم المواطنين يلجئون إلى أقبية منازلهم أو غرف محصنة ، معظمهم يعمدون إلى جعل أطفالهم ينامون مبكرين ، الكثير منهم يتحلقون حول شاشات التلفزيون وهم في غاية القلق والخوف ... الحياة تنعدم في المدينة التي كانت قبل ساعة مليئة بالحيوية ، أجهزة السلطة لم يعد لها وجود ... الهدوء الرهيب يتحول على الفور إلى حمم متدفقة من الجحيم.. مدافع ورشاشات وبنادق آلية وقناصة

منتـشرين فـي كـل مكـان... معـارك محتدمـة تشتعل في أكثر من موقع بين جيش الوطـاويط وجيش الخفـافيش، كـل منهمـا يـسعى للـسيطرة على المدينة وحكمها بقوة النـار ولهيب الحمم ومـدافع المـوت.... القناصـة لا يرحمـون أحـدا، حتى النـساء والأطفـال ، كـل كـائن يتحـرك هـو هدف مشروع ، الحيوانات لم تعد تخـرج أثنـاء الليل ، فالكائنات الحية تلـوذ بـالفرار والاختبـاء من الرصاص والنيران التـي لا تميـز بـين بنـي بـشر أو حجـر أو حيـوان ، حتـى الطيـور فـي الـسماء والنباتـات علـى الأرض غـذت أهـداف مـشروعة لآلـة المـوت الفتاكـة ... الأطفـال لا يستطيعون النوم من ضجيج المعـارك... الآبـاء والأمهات قلقين من أن يجلب لهم حظهم العاثر طلقـة مدفعيـة أو رصاصـات قنـاص فقـدت صـوابها ليقـضوا مـضرجين بـدمائهم فـي مـسرحية ليـسوا مـن ممثليهـا أو حتـى مـن مشاهديها ...

... مع اقتراب الفجر تهدا المعارك الرهيبة بين جيش الوطاويط وجيش الخفافيش، ومع انـبلاج الصبح تسكن المدافع وتغمـد البنـادق وينـسحب المقاتلون.. يخرج المواطنون لتفقد أثـار الـدمار الذي أصاب ممتلكـاتهم.. يعلـو بكـاء احدهم فقد احترقـت سـيارته بالكامـل، يبكـي آخـر علـى

متجره الذي لم يمر على افتتاحه إلا أسابيع معدودة.... يقف آخرين في حزن شديد لتعرض منازلهم وعمائرهم لأضرار كبيرة تحتاج لأسابيع من الإصلاحات ...احد المواطنين بدا فاقد العقل ويمشي بطريقة غير اعتيادية ، يمسكه الناس محاولين تهدئته ، إلا انه يخرج من بينهم وقد خلع معظم ملابسه ، فقد احترقت ورشته التي يقتات منها رزقه ورزق عائلته ، يجلس آخر شارد الذهن وقد أصبح غير ملما بما يدور حوله بعد أن تعرض مطعمه لتلف كبير .. تبدأ سيارات البلدية بانتشال ركام المعارك ومخلفات المتاجر والمنازل والشوارع ، وتبدأ سيارات الإسعاف بانتشال جثث المقاتلين الذين قضوا في معارك الليل الفائت ، تعود سيارات المرور والنجدة لتنظيم السير وحفظ الأمن ، تدب الحياة الطبيعية شيئا فشيئا في المدينة التي تصارع من اجل البقاء .....

يعود النشاط إلى السوق المركزي ، تدب فيه الحيوية سريعا، الشاحنات المكدسة بالبضائع تبدأ بتحميل حمولاتها ، المحلات والمتاجر تفتح أبوابها لاستقبال المتسوقين من مختلف أنحاء المدينة ...

.. بــلال احــد الباعــة فــي ســوق المدينــة المركزي ، فتح متجره بعد أن اقترض آلاف الدراهم ، متجره صغير ولكنه مميز ، حيث يحتوي على بضائع متنوعة ورخيصة الثمن .....

احد المتسوقين- لما تبيع هذه البضاعة وأنت تعلم أن مصدرها حلفاء مقربين من جيش الوطاويط؟

بلال- أنا لا اعلم أنها كذلك، سوف أبيعها ولن أعود لاستيرادها مرة أخرى .

المتسوق- ما اسمك؟

بلال- لماذا تسال عن اسمي؟

المتسوق- اجبني ما اسمك؟

بلال- اسمي بلال .

المتسوق- بلال!! هل تعلم أن هذا اسم لأهم رموز جيش الوطاويط ؟

بلال- لا اعلم ، وان كنت تريد أن أغيره فسوف افعل هذا حالا!

.. ينظر له بحقد شديد ثم يغرب عنه .... يبقى بلال قلقلا طيلة اليوم ، يغلق متجره في وسط النهار ويقفل عائدا إلى منزله ..

احد التجار- لماذا تذهب مبكرا اليوم؟

بلال- عندي بعض الأعمال المهمة ولا مجال لانتظار الغد لانجازها .

... يشغل سيارته المتهرئة قاصدا منزله الواقع وسط منطقة محسوبة على ولاء جيش الوطاويط.. الحي هادئ وتنتشر فيه دوريات الأمن بكثافة.. يركن سيارته بعيدا عن منزله على جري عادته، يلتفت يمنة وشمالا فلا يرى أي شي غير عادي.. ما أن يفتح باب منزله حتى تباغته رصاصة... يسقط على الأرض ويقترب منه رجلين مسلحين .

بلال- أرجوكم لا تقتلوني.

رجل مسلح- جرمك الأول أن اسمك بلال ، ولكن جرمك الخطير الذي تستحق عليه الإعدام بسببه هو انك تبيع بضاعة مستوردة من شركات معروفة بدعمها لجيش الوطاويط ، وهذا يعني انك تدعم المجهود الحربي ألوطواطي! واكبر دليل على انك تواليهم هو انك تسكن في هذا الحي المحسوب عليهم.

بلال- أرجوكم لا تحرموني من نعمة الحياة .

... تفرغ في جسده عدة رصاصات ليلقى مصرعه على الفور... يتجمع أبناء الحي أمام جثته ويعلوا البكاء والنحيب أرجاء بيته.. . يتقدم شخصا ملثم ويتفحص مستنداته الثبوتية والورقة التي ألقيت على جثه..

(لقد قتلنا بلال لأنه يدعم جيش الوطاويط ولان اسمه بلال !)

... تنصب اللعنات والدعوات على جيش الخفافيش ومن يؤيدهم ..

الشخص الملثم- اطمئنوا سنتأثر لبلال.

يلتفت إلى جثة بلال ...

- لن يذهب دمك هذرا يا بلال!

..... تتوجه مجموعة مسلحة بسيارات بدون لوحات ويحاصرون حي معروف بتأييد أهله لجيش الخفافيش، يضرمون النار لإخافة السكان ويحتجزون رجال الشرطة...

قائد المجموعة- كل شخص اسمه هلال القوا القبض عليه فورا.

يدخلون البيوت عنوة، يوقفون المارة ويقتحمون المتاجر وينشئون نقاط تفتيش باحثين عن كل من اسمه هلال ...

- سيدي وجدنا طفل صغير لم يتجاوز العاشرة اسمه هلال، هل نعتقله؟

قائد المجموعة- بالطبع، فهذا الصغير سيكبر ليصبح مقاتلا في جيش الخفافيش!

- سيدي وجدنا رجلا كهلا تجاوز عمره السبعين اسمه هلال فهل نعتقله؟

قائـد المجموعـة- بـالطبع، أو لـيس اسـمه هــلال؟ وأنجــب أبنــاء يــدعمون جــيش الخفافيش ، إذن هو مذنب شاء أم أبا !!
يعتقلون ثلاثين رجلا اسمهم هلال... تقيد أيـديهم إلـى ظهـورهم وتعـصم أعيـنهن ويـدورون للخلـف... يخـاطبهم قائـد المجموعة المسلحة..

- اسمعوني ، ستموتون الان!

يضجون بالبكاء والنحيب ...
قائـد المجموعـة- لأنكـم تـدعمون جـيش الخفافيش واكبر دليل عل ذلك هو حمل كل واحـد مـنكم اسـم رمـز مـن أهـم رمـوزه ، إضافة إلى سكنكم في هذا الحي الذي خرج منه عشرات المقاتلين الذي أزهقوا أرواح مئـات الأبريـاء ، لذلك فـان عقابكم سيكون الموت!
احد المعتقلين - الرحمة يا سيدي.
معتقل آخر- سأغير اسمي بما تحب يا سيدي!
معتقل آخر - أرجوك أنا عندي أطفال.
احد المعتقلين - من لأمي المريضة وأبي العاجز؟
معتقل آخر - أرجوك ارحمنا.
احد المعتقلين - الرحمة يا سيدي الرحمة.

يـأمر بـإطلاق النـار علـيهم فيـردون قتلـى، يـأمر مقاتليـه بـان يتأكـدوا مـن مـوتهم جميعـا... يتفقـدونهم واحـدا تلـو الآخـر ويجهـزوا علـى مـن لـم تخـرج روحـه مـن جسده بعد .. ينتشي فرحا .. . تقرع الطبول احتفالا بالنصر المؤزر..

قائد المجموعة- نم قرر العين يا بلال فقد قتلنا بك ٣٠ هلال !

.. يغـادر الآلاف مـساكنهم ودورهـم ويهجـرون مـدينتهم، بعـد أن أصـبحت الأسـماء والـسيارات والمـساكن والبـضائع أهـداف حربيـة، وأصـبح القتـل علـى الحروف والأسماء أمرا شائعا... القتال بين الوطـاويط والخفـافيش أصبح مفتوحـا علـى مصراعيه أربـع وعشرين سـاعة، لـم تعـد الـشمس عائقـا أمـام مواصـلة القتـال.... أصـبحت الخفـافيش والوطـاويط تحـارب بعـضها الـبعض طـوال النهـار والليل...يصمد مـا تبقـى مـن الـسكان علـى أمل أن يهب إعصار عاتي يأخذ معه جيش الخفـافيش والوطـاويط إلـى الجحـيم الـذي جـاءوا منـه لتـشرق شـمس الربيـع الجديـد علـى أنغـام العـصافير والـبلال وتـرانيم المحبة والسلام .

المحتويات